

الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية القديمة بين إفادة المؤرخين والبقايا الأثرية

Olives and oil in Ancient North Africa between the Accounts of Historians and Archaeological Remains

د/ فريد بوخلف،

المركز الوطني للبحث في اللغة والثقافة الأمازيغية، بجاية

boukhlefarid@gmail.com

تاريخ النشر: 2026/01/01

تاريخ القبول: 2025/11/28

تاريخ الإرسال: 2025/07/05

المخلص:

تعتبر منطقة شمال أفريقيا إحدى أهم الحواضن التاريخية لزراعة الزيتون في حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث ارتبطت هويتها الاقتصادية والاجتماعية بهذه الشجرة المباركة منذ العصور القديمة. لم تكن غراسة الزيتون وصناعة استخراجها مجرد نشاط عابر، بل شكلت قطاعاً استراتيجياً متكاملاً تجلى في انتشار واسع للمعاصر الضخمة وتطور تقنيات الري والتخزين. تستند هذه الدراسة إلى قراءة تحليلية للمصادر الأدبية والتاريخية الكلاسيكية، مع الربط بينها وبين الشواهد الأثرية (اللقى الميدانية، بقايا المعاصر، والجرار الزيتية) التي كشفت عن حجم الصادرات الأفريقية نحو العاصمة "روما" والموانئ المتوسطية الكبرى. يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على المستجدات العلمية في هذا المجال، ومناقشة الإشكاليات المرتبطة بمسارات التجارة البحرية وتأثير التغيرات المناخية والسياسية على ديمومة هذا النشاط. كما تهدف الدراسة إلى استنتاج الجوانب الغامضة في السجل الأثري للإجابة على تساؤلات تتعلق بآليات توزيع الثروة والتحويلات في ملكية الأراضي الزراعية التي ظلت لفترة طويلة بعيدة عن التناول المنهجي الدقيق.

- **الكلمات المفتاحية:** إفريقيا الشمالية القديمة، اقتصاد زيت الزيتون، المعاصر الأثرية، التجارة المتوسطية، الرومنة الزراعية، المصادر القديمة.

Abstract :

North Africa is regarded as one of the most significant historical cradles of olive cultivation in the Mediterranean basin, where its economic and social identity has been

intertwined with this sacred tree since antiquity. Olive cultivation and the oil extraction industry were not merely transient activities, but they formed an integrated strategic sector evidenced by the widespread proliferation of massive oil presses and the advancement of irrigation and storage techniques.

This study is based on an analytical reading of classical literary and historical sources, linking them with archaeological evidence (field finds, remnants of presses, and oil amphorae) that revealed the scale of African exports to Rome and major Mediterranean ports. This research seeks to highlight scientific developments in this field and to discuss issues related to maritime trade routes and the impact of climatic and political changes on the sustainability of this activity. Furthermore, the study aims to investigate the obscure aspects of the archaeological record to address questions concerning wealth distribution mechanisms and shifts in land ownership, which have long remained outside the scope of rigorous methodological analysis.

Keywords: Ancient North Africa, Olive Oil Economy, Archaeological Oil Presses, Mediterranean Trade, Classical Sources, Agrarian Romanization.

Résumé :

L'Afrique du Nord est considérée comme l'un des plus importants berceaux historiques de l'oléiculture dans le bassin méditerranéen, où son identité économique et sociale est liée à cet arbre béni depuis l'Antiquité. La culture de l'olivier et l'industrie de l'extraction de l'huile n'étaient pas de simples activités passagères, mais constituaient un secteur stratégique intégré, comme en témoigne la

prolifération des pressoirs monumentaux et le développement des techniques d'irrigation et de stockage.

Cette étude s'appuie sur une lecture analytique des sources littéraires et historiques classiques, en les corrélant avec les preuves archéologiques (trouvailles de terrain, vestiges de pressoirs et amphores huileuses) qui ont révélé l'ampleur des exportations africaines vers Rome et les grands ports méditerranéens. La recherche vise à mettre en lumière les développements scientifiques dans ce domaine et à discuter des problématiques liées aux routes commerciales maritimes et à l'impact des changements climatiques et politiques sur la pérennité de cette activité. L'étude ambitionne principalement d'interroger les aspects ambigus du registre archéologique afin d'apporter des réponses aux questions relatives aux mécanismes de distribution des richesses et aux mutations de la propriété foncière, restées longtemps en marge d'une analyse méthodologique rigoureuse.

- **Mots clés :** Afrique du Nord antique, Économie de l'huile, Pressoirs archéologiques, Commerce méditerranéen, Sources classiques, Romanisation agraire.

المقدمة:

شكّلت زراعة الزيتون وإنتاج الزيت أحد أهم الأنشطة الاقتصادية في المجال المتوسطي منذ العصور القديمة، غير أنّ إفريقيا الشمالية عرفت خلال الفترتين القرطاجية والرومانية تطوراً ملحوظاً في هذا القطاع، سواء من حيث انتشار الغراسة أو من حيث تنظيم الإنتاج وتحسين تقنياته. وتشير المصادر الأدبية القديمة إلى معرفة القرطاجيين المبكرة بزراعة الزيتون واستغلاله، كما تؤكد المعطيات الأثرية والأدبية أنّ هذه الزراعة عرفت توسعاً كبيراً خلال العصر الروماني، لتصبح إفريقيا إحدى أهم مناطق تزويد روما بهذه المادة الحيوية.

وتشير هذه المعطيات جملة من الإشكاليات، من أبرزها طبيعة التحول الذي عرفته زراعة الزيتون بين الفترتين القرطاجية والرومانية، ومدى ارتباط ازدهار إنتاج الزيت بالسياسات الاقتصادية والاجتماعية للإمبراطورية، فضلاً عن الدور الذي لعبته هذه الزراعة في استقرار السكان وإدماج المقاطعات الإفريقية ضمن المنظومة الاقتصادية الرومانية.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل تطور زراعة الزيتون وصناعة الزيت في إفريقيا الشمالية، من خلال تتبع انتشار الغراسة، وأنماط المعاصر، وحجم الإنتاج، ثم دراسة آليات تصدير الزيت نحو روما ودوره في نظام التموين الإمبراطوري. وتعتمد الدراسة على المقاربة التاريخية التحليلية، بالاستناد إلى المصادر الأدبية الكلاسيكية مثل بلين الأكبر وبوليبيوس وأبيان، ومقارنتها بالمعطيات الأثرية المتعلقة بالمعاصر والجرار التجارية، إضافة إلى الدراسات الحديثة، خاصة أعمال هنرييت كامبس-فابر وغزال.

أولاً: زراعة الزيتون في الفترة القرطاجية

تشير المصادر الأدبية القديمة إلى معرفة القرطاجيين المبكرة بزراعة الزيتون واستغلاله على نطاق واسع. فقد أشار هيرودوت إلى انتشار هذه الزراعة في المناطق الواقعة جنوب قرطاجة وفي بعض الجزر القريبة، كما تحدث ديودور الصقلي عن وجود غراسات زيتون كثيفة في شبه جزيرة رأس بون، وهو ما يؤكد الأهمية التي حظيت بها هذه الشجرة في المجال الزراعي القرطاجي. (Diodorus Siculus, trans. 1933).

كما يذكر بوليبيوس أن جيش حنبعل قام بغراسة أشجار الزيتون في المنطقة الواقعة شرق تونس الحالية قبيل معركة زاما، وهو ما يعكس إدراك القرطاجيين للقيمة الاقتصادية طويلة المدى لهذه الزراعة (Polybius, trans. 1922). وتشير بعض المعطيات إلى أن قرطاجة كانت تصدر زيت الزيتون وزيت المائدة إلى إيطاليا خلال القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد، الأمر الذي يدل على اندماج إنتاجها ضمن شبكة التبادل المتوسطي.

وتدعم المعطيات اللغوية هذا الحضور القديم لشجرة الزيتون في شمال إفريقيا، حيث ما تزال التسميات المحلية تميز بين الزيتون البري والمطعم، وهو ما اعتبره بعض الباحثين مؤشراً على قدم استغلال هذه الشجرة في المنطقة. (Camps, 1980).

وتقدم رواية أبيان وصفاً دالاً على الطابع المنزلي لإنتاج الزيت، إذ يشير إلى استيلاء جنود سكيبيو إيميليانوس أثناء حصار قرطاجة على ضيعة ريفية تضم مسكناً ومنشآت لاستخراج الزيت وتخزينه، مما يعكس انتشار الإنتاج العائلي لهذه المادة. (Appian, trans. 1913).

وعلى الرغم من قدم وجود الزيتون في المنطقة، تشير الدراسات الحديثة إلى أن القرطاجيين أسهموا في تطوير تقنيات زراعته واستغلاله، وهو ما يتضح من الإشارات المتكررة إلى كتاب ماغون الزراعي، الذي عُدّ مرجعاً أساسياً في تقنيات الغراسة والتطعيم خلال العصور اللاحقة. (Gsell, 1928).

ومع ذلك، يرى بعض الباحثين أن محدودية المساحات المزروعة قد تكون حُدّت من حجم الإنتاج في بعض الفترات، بل وربما أدت إلى استيراد الزيت من مناطق أخرى مثل صقلية عند الحاجة. كما تبقى المعطيات الكمية حول مردودية الإنتاج قليلة، باستثناء ما أورده بلين الأكبر بشأن مردود الشجرة الواحدة، وهو ما يعكس محدودية المعلومات الرقمية المتعلقة بالاقتصاد الزراعي القرطاجي. (Pliny, trans. 1945).

ثانياً: انتشار زراعة الزيتون والمعاصر في إفريقيا خلال الفترة الرومانية

عرفت إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية توسعاً ملحوظاً في غراسة أشجار الزيتون، وهو ما تؤكد المصادر الأدبية إلى جانب المعطيات الأثرية التي تكشف عن انتشار واسع للمعاصر والمنشآت المرتبطة بإنتاج الزيت. ويرتبط هذا التوسع بجملة من العوامل الاقتصادية والسياسية، في مقدمتها الطلب المتزايد على الزيت في روما، حيث استُخدم في التغذية والإنارة والاستحمام والعلاج، فضلاً عن إدراجه ضمن المواد الموزعة في إطار نظام التموين الإمبراطوري. (Rickman, 1980)

كما ارتبط انتشار زراعة الزيتون بالسياسة الإمبراطورية في المناطق الحدودية، خاصة في نطاق اللّيمس الإفريقي، إذ تتطلب هذه الزراعة استقراراً طويلاً الأمد واستثماراً دائماً في الأرض، وهو ما ساهم في توطين السكان، ولا سيما قدامى الجنود والمستعمرين، وتعزيز الاستقرار في المناطق الداخلية والجنوبية. (Mattingly, 1996)

وتؤكد المعطيات الأثرية هذا التوسع من خلال العدد الكبير من المعاصر المكتشفة في مختلف أنحاء إفريقيا، والتي تشير إلى كثافة الإنتاج وتنوع أنماط الاستغلال. فقد بيّنت الدراسات المتخصصة وجود معاصر كبيرة ذات طابع شبه صناعي، إلى جانب معاصر ريفية صغيرة مرتبطة بالاستغلالات العائلية (Camps-Fabrer, 1981).

وتظهر هذه المعاصر اختلافاً تقنياً واضحاً، حيث تميزت بعض المنشآت باستخدام تجهيزات حجرية ثقيلة وأنظمة ضغط متطورة تعتمد على العتلات والأوزان، في حين حافظت بعض المناطق على تقنيات محلية أبسط تعتمد على هياكل خشبية وعملية عصر واحدة. ويعكس هذا التنوع تفاوت مستويات الاستثمار والإنتاج بين المناطق، كما يدل على تطور تدريجي في تقنيات استخراج الزيت وجودته.

ومن أبرز الشواهد الأثرية على هذه المنشآت معاصر خربة أعقوب بمنطقة سطيف (عين الكبيرة)، ومعصرة بير سقاون قرب تبسة، حيث كشفت الحفريات عن عناصر معمارية وتقنية متكاملة، مثل قواعد الأعمدة، وأحواض

التجميع، ومنصات الضغط، وهي عناصر تؤكد الطابع المنظم لهذه الصناعة في المجال الريفي.

كما توثق الفسيفساء الإفريقية مراحل إنتاج الزيت، بدءًا من جني المحصول ونقله بواسطة الدواب، وصولًا إلى عمليات العصر والتصفية، وهو ما يعكس الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الزراعة داخل المجتمع المحلي.

وقد أدى هذا التوسع في الغراسة إلى ارتفاع حجم الإنتاج بشكل ملحوظ، الأمر الذي سمح بتطور صناعة الزيت وانتشارها في معظم المناطق الزراعية، بحيث أصبح وجود المعصرة عنصرًا شبه ثابت في العديد من القرى والمجالات الريفية، وهو ما يعكس اندماج الاقتصاد الزراعي الإفريقي ضمن المنظومة الإنتاجية للإمبراطورية الرومانية.

ثالثًا: روما وتجارة الزيت الإفريقي

أدى الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي عرفته الإمبراطورية الرومانية خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين إلى ارتفاع ملحوظ في الطلب على المواد الأساسية، ومن بينها زيت الزيتون، الذي أصبح عنصرًا رئيسيًا في الحياة اليومية للرومان، حيث استُخدم في التغذية والإنارة والاستحمام والعناية بالجسم. وقد تعززت أهمية هذه المادة مع إدراجها ضمن نظام التوزيع المجاني للمواد الغذائية في إطار سياسة التموين الإمبراطوري. (Rickman, 1980)

وفي هذا السياق، برزت إفريقيا الشمالية باعتبارها أحد أهم مراكز إنتاج الزيت في الإمبراطورية، خاصة في ظل تراجع نسبي للإنتاج في بعض مناطق إيطاليا. وتشير المصادر إلى أن الدولة الرومانية فرضت التزامات ضريبية عينية على بعض المدن الإفريقية، مثل مدينة ليبيتيس، وهو ما يعكس حجم الإنتاج وأهميته الاقتصادية.

وتؤكد المعطيات الأثرية هذا الدور من خلال الكميات الكبيرة من الأمفورات الإفريقية المكتشفة في الموانئ الإيطالية، خاصة في ميناء أوستيا، الذي مثل نقطة الاستقبال الرئيسية للزيوت القادمة من المقاطعات الإفريقية. كما تُعدّ تلة مونتي تستاتشيو (Monte Testaccio) في روما من أهم

الشواهد المادية على كثافة هذه التجارة، حيث تتكون أساساً من بقايا ملايين الأمفورات المستعملة في نقل الزيت، والتي تحمل العديد منها أختاماً وعلامات تشير إلى مصدرها الإفريقي ومسارات نقلها. (Panella, 2001)

وتكشف هذه العلامات عن نظام رقابة إداري دقيق، كان يهدف إلى ضمان مطابقة الشحنات لمعايير الوزن والجودة، وتوثيق أسماء المنتجين والناقلين، إضافة إلى تحديد الموانئ التي جرى عبرها التصدير. وقد أشرف على هذه العملية موظفون تابعون لإدارة الأنونة، إلى جانب المسؤولين عن تنظيم النقل البحري وضمان وصول الشحنات إلى وجهتها في الوقت المحدد.

كما لعب التجار الخواص دوراً مهماً في نقل الزيت، حيث تشكلت تجمعات مهنية متخصصة في تجارة هذه المادة، في حين استفاد أصحاب السفن (Navicularii) من امتيازات قانونية مقابل التزامهم بتأمين نقل الإمدادات إلى روما. وتعكس هذه التنظيمات درجة عالية من تدخل الدولة في توجيه التجارة والإشراف عليها، بما يضمن استقرار التموين وتجنب الأزمات الغذائية التي قد تؤدي إلى اضطرابات اجتماعية. (Whittaker, 1994)

ومن الناحية الجغرافية، اعتمدت تجارة الزيت على شبكة من الموانئ الإفريقية، من أبرزها قرطاجة، وليبتيس، وهروميت، وروسكاد، التي كانت تتصل بمراكز الإنتاج الداخلية عبر طرق برية مخصصة لنقل الأمفورات من المعاصر إلى مناطق الشحن. ويشير هذا التنظيم إلى اندماج الاقتصاد الزراعي الإفريقي ضمن منظومة تبادل واسعة النطاق، جعلت من المقاطعات الإفريقية أحد الأعمدة الأساسية للاقتصاد الإمبراطوري خلال العصر الروماني.

خاتمة

تُظهر المعطيات الأدبية والأثرية أن زراعة الزيتون وإنتاج الزيت في إفريقيا الشمالية لم تمثل نشاطاً زراعياً تقليدياً فحسب، بل شكّلاً أحد المكونات الأساسية للبنية الاقتصادية للمقاطعات الإفريقية خلال الفترة الرومانية. فقد عرفت هذه الزراعة توسعاً ملحوظاً مقارنة بالفترة القرطاجية، سواء من حيث

انتشار الغراسية أو من حيث تطور تقنيات العصر وتزايد عدد المعاصر، وهو ما تعكسه الشواهد الأثرية المنتشرة في مختلف المجالات الريفية.

ويرتبط هذا التطور، في جانب كبير منه، باندماج إفريقيا ضمن المنظومة الاقتصادية للإمبراطورية الرومانية، حيث أدى الطلب المتزايد على الزيت في روما، سواء لأغراض الاستهلاك اليومي أو في إطار نظام التموين الإمبراطوري، إلى توجيه الإنتاج الإفريقي نحو التصدير بكميات كبيرة. وتؤكد المكتشفات الأثرية، خاصة الأمفورات المختومة وتراكمها في مواقع مثل مونتي تستاتشيو، حجم هذا التدفق التجاري وانتظامه، كما تكشف عن وجود نظام إداري دقيق يشرف على عمليات الإنتاج والنقل والتوزيع.

ومن جهة أخرى، لم يقتصر دور زراعة الزيتون على بعدها الاقتصادي، بل ارتبطت أيضاً بأهداف سياسية وإدارية أوسع. فقد أسهم انتشار هذه الزراعة في استقرار السكان في المناطق الداخلية والحدودية، نظراً لطبيعتها الاستثمارية طويلة المدى، وهو ما يتماشى مع سياسة الدولة الرومانية الرامية إلى تعزيز السيطرة على المجال وتنظيم استغلاله. كما ساهمت شبكات النقل والموانئ والبنى التنظيمية المرتبطة بتجارة الزيت في تعزيز التكامل الاقتصادي بين المقاطعات الإفريقية والمركز الإمبراطوري.

وتشير هذه المعطيات إلى أن إفريقيا الشمالية تحولت، خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، إلى أحد الأعمدة الأساسية لاقتصاد التموين الروماني، بحيث لم يعد دورها يقتصر على تزويد روما بالحبوب، بل شمل أيضاً إنتاج الزيت بكميات كبيرة وبشكل منتظم. كما تدعو هذه النتائج إلى إعادة النظر في بعض الأحكام التقليدية التي قللت من جودة الزيت الإفريقي أو من مستوى تطور تقنياته، إذ إن حجم الطلب عليه واستمرارية تدفقه نحو الأسواق الإيطالية يعكسان درجة معتبرة من الكفاءة الإنتاجية والتنظيم الاقتصادي.

وبذلك، تكشف دراسة زراعة الزيتون وتجارة الزيت في إفريقيا عن طبيعة العلاقة الاقتصادية بين المركز والأطراف داخل الإمبراطورية الرومانية، حيث لم تكن المقاطعات مجرد مجالات إنتاج هامشية، بل شكّلت

عناصر فاعلة في نظام تبادل واسع النطاق، أسهم في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للإمبراطورية خلال مرحلة ازدهارها.

قائمة المصادر و المراجع

- العربي عقون (2008)، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- رستوفتسف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي ج1.
- هنرياتكامبسفايرا، الزيتون والزيت في إفريقيا الشمالية خلال الفترة الرومانية، تحقيق وتعريب محمد العربي عقون، دار الهدى للنشر.
- الشاذلي بورونية، (1999)، قرطاج البونية، تاريخ وحضارة مركز الشرق الجامعي، مصر.
- بشاري، م (2015)، روما وزراعة المقاطعات الإفريقية بين 146 ق م 285م، دار الهدى للنشر الجزائر.
- شنيطي، م (1984)، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.
- Hérodote, L IV
- Stéphane Gsell, (1928) Histoire Ancienne de L'Afrique Du nord, T02, Librairie Hachette Paris.
- Appian. (1913). *Roman history* (H. White, Trans.). Harvard University Press. (Original work published 2nd century CE)
- Camps-Fabrer, H. (1981). *L'olivier et l'huile dans l'Afrique romaine*. CNRS Éditions.
- Camps, G. (1980). *L'Afrique du Nord au temps des Carthaginois*. Payot.

- Diodorus Siculus. (1933). *Library of history* (C. H. Oldfather, Trans.). Harvard -University Press. (Original work published 1st century BCE)
- Gsell, S. (1928). *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord* (Vol. 4). Hachette.
- Herodotus. (1920). *The histories* (A. D. Godley, Trans.). Harvard University Press. (Original work published 5th century BCE)
- Mattingly, D. J. (1996). *Tripolitania*. University of Michigan Press.
- Panella, C. (2001). Le anfore di Monte Testaccio. In E. Lo Cascio (Ed.), *Mercati permanenti e mercati periodici nel mondo romano* (pp. 143–165). Edipuglia.
- Pliny the Elder. (1945). *Natural history* (H. Rackham, Trans.). Harvard University Press. (Original work published 1st century CE)
- Polybius. (1922). *The histories* (W. R. Paton, Trans.). Harvard University Press. (Original work published 2nd century BCE)
- Rickman, G. (1980). *The corn supply of ancient Rome*. Oxford University Press.
- Whittaker, C. R. (1994). *Frontiers of the Roman Empire: A social and economic study*. Johns Hopkins University Press.